قصص القرآن (٦)

قصة عجل بني إسرائيل — قصة بقرة بني إسرائيل

قصة موسى والخضر — قصة قارون

قصة شعيب — قصة أيوب

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم — ياسر علي نور

مصطفى عبد العزيز — محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشيد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

obeikan.com

قصّةُ عِجلِ بني إسرائيلَ

بعدَ أَنْ خرجَ مُوسَى عليه السلام بقومِه مِن مِصرَ، ووصلَ سَيناءَ؛ حدَّدَ اللهُ سُبحانَه لَه مَوعِدًا ليُناجيَه ويُكلِّمَه، ويُعطيَه الألواحَ الَّتي فيها شَريعةُ بَني إسرائيلَ.

فاستَعدَّ مُوسَى لمُلاقاةِ ربِّه، وتركَ هارُونَ يتولَّى أَمرَ قومِه، وأخذَ علَيهِمُ المَواثيقَ أَنْ يتمسَّكُوا بإيمانِهم.

وبعدَ أَنْ ذهبَ مُوسَى، أَغوَى الشيطانُ رجلاً مِنهُمُ اسمُه السّامِرِيُّ، فقَدْ أخذَ السّامريُّ الحُلِيَّ مِنَ الذَّهبِ والفِضّةِ الَّتي يَمتلكُها بَنُو إسرائيلَ، فصنعَ مِنها تِمثالًا مُجوَّفًا علَى هَيئةِ عِجلٍ، وكانَتِ الرِّيحُ إذا دخلَتْه ومرَّتْ في تَجاويفِه، يَخرُجُ مِنه صَوتٌ يُشبهُ خُوارَ البقرِ، ففرحَ بَنُو إسرائيلَ بِه كَثيرًا، ثُمَّ دعاهُمُ السّامريُّ إلَى عِبادتِه فعَبدُوه. وحاولَ هارُونُ أَنْ يَرُدَّهُم عَن ضلالِهِم، فقالَ لَهُم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٠]. ولكنَّهُم عانَدُوا وأصرُّوا علَى الإشراكِ باللهِ، وقالُوا: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾.

وبَينَما كانَ مُوسَى يُناجي ربَّه، ويأخذُ عَنه التوراةَ، أخبرَه اللهُ سُبحانَه بِما فعلَ بَنُو إِسرائيلَ، وأَذِنَ اللهُ لَه في الِانصرافِ، فحملَ مُوسَى ألواحَ التوراةِ، وعادَ إِلَى قومِه وهوَ غَضبانُ، فلَمّا رآهُم ألقَى الألواحَ مِن يدِهِ، وأمسَكَ برأسِ أخيهِ هارُونَ يَجُرُّه بشِدّةٍ، وقالَ لَه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾؟ فقالَ هارُونُ مُعتذِرًا: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾.

وعاقبَ مُوسَى السّامريَّ علَى فَعلتِه بأَنْ نَفاهُ عَن قومِه، وأمرَهُم ألّا يُخالِطُوه ولا يَقربُوه ولا يُكلِّمُوه، فلا يَمَسَّ أحدًا ولا يمسَّه أحدٌ، ثُمَّ قامَ مُوسَى إِلَى العِجلِ فحرَّقَه وألقَى برمادِه في البَحرِ.

وعِندئذٍ عادَ بَنُو إسرائيلَ إِلَى رُشدِهِم وندِمُوا، لكنَّ اللهَ لَمْ يَقبلْ تَوبتَهُم، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾.

وأوحَى اللهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يأمُرَ قومَه بقَتلِ مَن عَبَدَ العِجلَ، فنادَى مُوسَى قومَه وقالَ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم

بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فأَمسكُوا بأَسلحتِهِم، وظلَّ يَقتُلُ بعضُهُم بعضًا، فقُتلَ مِنهُم في ذلكَ اليومِ عددٌ كبيرٌ، وهَكذا استحقَّ بَنُو إسرائيلَ ما حدَثَ لَهُم، إِذْ قابلُوا الإحسانَ بالإساءةِ والنِّعمةَ بالكُفرِ، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

قصّةُ بقرةِ بَني إسرائيلَ

تربَّصَ رجلٌ مِن بَني إسرائيلَ برجلٍ آخرَ، ثُمَّ قتلَه وألقَى جُثَّتَه في الطَّريقِ.

وفي الصَّباحِ، رأَى بَنُو إسرائيلَ الجثّةَ فارتفعَتِ الأصواتُ بالصِّياحِ وكثرةِ الكلامِ، واختلفُوا فيمَن قتلَه، حتَّى كادُوا أَنْ يَقتَتِلُوا، ثُمَّ ذَهبُوا إِلَى نبيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام وأخبرُوه بِما حدثَ، فقامَ مُوسَى وصلَّى ودَعا اللهَ سُبحانَه أَنْ يُظهِرَ الحَقيقةَ، فأَمرَهُمُ اللهُ سُبحانَه أَنْ يَذبحُوا بقرةً، ثُمَّ يضربُوا القَتيلَ بجُزءٍ مِنها؛ فيَقومُ حيًّا مِن مَوتِه، ويُخبرُهُم بمَن قتلَه، فقالَ لَهُم مُوسَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧]، فلَمْ

يُدرِكُوا الحِكمةَ مِن ذبحِ البقرةِ، وظنُّوا أَنَّ مُوسَى يَسخَرُ مِنهُم ويَستهزِئُ بِهِم، فقالُوا مُعترِضينَ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؟! فقالَ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

فلَمّا أدركُوا خطأَهُم، وعرَفُوا أنَّه وَحْيٌ مِن عندِ اللهِ، طلبُوا مِن مُوسَى أَنْ يُخبرَهُم بصِفاتِ تلكَ البقرةِ، فأخبرَهُم أنَّها بقرةٌ ليسَتْ كبيرةً في السِّنِّ، ولا صَغيرةً، لكنَّها وَسَطٌ بينَ ذلكَ قائلًا: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾. ولِأنَّ مُوسَى يَعلَمُ طَبيعةَ بَني إسرائيلَ وكثرةَ جِدالِهِم، نصحَهُم أَنْ يُسرعُوا في تَنفيذِ أمرِ اللهِ، حتَّى لا يَحِلَّ علَيهِم غضَبُه فقالَ: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

لكنَّهُم لَمْ يَستمعُوا للنُّصحِ؛ وقالُوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾؟ لقَدْ تَشَدَّدُوا وضيَّقُوا علَى أنفُسِهِم، فاستحقُّوا أَنْ يُضيِّقَ اللهُ علَيهِم؛ فرَدَّ علَيهِم مُوسَى: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾، ومعَ ذلكَ لَمْ يُنفِّذُوا الأمرَ، بَلِ ازْدادَ عِنادُهُم وجِدالُهُم، وطلَبُوا مِن نَبيِّهِم أَنْ يَسألَ اللهَ عَنْ أَوصافٍ أُخرَى، فأَعطاهُمُ اللهُ أَوصافًا أكثرَ نُدرةً، فأَمرَهُم أَنْ يَذبحُوا بقرةً لَمْ تُستَعمَلْ

في حَرثِ الأرضِ مِن قبلُ، ولَمْ تُستخدَمْ في سَقيِ الزَّرعِ، وأَنْ يَكونَ لَونُها أَصفَرَ فاقعًا غيرَ مُختَلِطٍ بلَونٍ آخرَ.

وهُنا عَلمَ بَنُو إسرائيلَ أنَّه لا بُدَّ لَهُم مِن تَنفيذِ ما أَمَرَ اللهُ تَعالَى بِه، فقالُوا لِمُوسَى: ﴿آلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾. فأَخذُوا يَبحثُونَ حتَّى عَثَرُوا علَى هَذِه البقرةِ، ولكنَّ صاحبَها رفضَ أَنْ يَبيعَها لَهُم إلّا بثَمَنٍ كَبيرٍ جدًّا، فاشترَوْها، ثُمَّ ذَبحُوها، وتوجَّهُوا إلَى مُوسَى.

فأمرَهُم مُوسَى أَنْ يَضربُوا القَتيلَ بجُزءٍ مِنها، فلَمّا فعلُوا ذلكَ أَحياهُ اللهُ، فقامَ وأخبرَهُم بالَّذي قتلَه، ثُمَّ عادَ مَيْتًا كَما كانَ. وبِذلِكَ شاهَدَ بَنُو إسرائيلَ تلكَ المُعجِزةَ بِأعيُنِهِم، وتأكَّدُوا مِن قُدرةِ اللهِ سُبحانَه علَى البَعثِ وإِحياءِ المَوتَى.

قصّةُ مُوسَى والخَضِرِ

وقفَ مُوسَى عليه السلام يَومًا يَخطُبُ في قَومِه، ويُذكِّرُهُم باللهِ عزّ وجلّ وبِالجنّةِ ونَعيمِها وبِالنّارِ وعَذابِها، حتَّى لانَتْ قلُوبُهُم، ودمَعَتْ عُيُونُهُم، فقامَ إلَيهِ رَجلٌ وسألَه: يا نبيَّ اللهِ، هَلْ في الأرضِ أحدٌ أعلَمُ مِنكَ؟ فقالَ مُوسَى: لا.

فأَوحَى اللهُ إلَيهِ أَنَّ هناكَ عَبدًا صالحًا أَعلَمَ مِنهُ، فأَرادَ مُوسَى أَنْ يَتزوَّدَ مِن عِلمِ هَذا الرَّجُلِ، ويَنتفِعَ بِه، فخرجَ معَ خادمِه يُوشعَ بنِ نُونَ لِلبحثِ عَن هَذا العَبدِ الصّالحِ.

وبعدَ رِحلةٍ طَويلةٍ، وجدَ مُوسَى العبدَ الصّالحَ جالسًا، فأَلقَى علَيهِ السَّلامَ، فقالَ لَه: مَن أَنتَ؟ قالَ: مُوسَى. قالَ الخَضِرُ: مُوسَى نَبيُّ بَني إسرائيلَ؟ قالَ مُوسَى: نَعَمْ، قالَ: فما شَأنُكَ؟ قالَ: جِئتُكَ لِتُعلِّمَني مِمّا عُلِّمتَ رُشدًا، فقالَ الخَضِرُ: أَما يَكفيكَ أَنَّ التَّوراةَ بِيدَيكَ، وأَنَّ الوَحيَ يَأتيكَ؟ يا مُوسَى إنَّ لي عِلمًا لا يَنبغِي لكَ أَنْ تَعلَمَه، وإنَّ لكَ عِلمًا لا يَنبغِي لي أَنْ أَعلَمَه.

وفي هَذا الوقتِ جاءَ طائرٌ فوَضعَ مِنقارَهُ في الماءِ لِيَشربَ، فقالَ الخَضِرُ لِمُوسَى: واللهِ ما عِلمي وعِلمُكَ في جَنبِ عِلمِ اللهِ إلّا كَما أخذَ هَذا الطّائرُ بمِنقارِه مِنَ البَحرِ. وأصرَّ مُوسَى علَى مُرافَقةِ الخَضِرِ، ليَتعلَّمَ مِن عِلمِه، فوافقَ الخَضِرُ بشَرطِ أَلّا يَسألَه مُوسَى عمّا يَراهُ ولا يَعتَرِضَ علَيهِ حتَّى يُبيِّنَهُ لَه، فوافقَ مُوسَى.

وانطلَقا يَمشِيانِ علَى ساحِلِ البَحرِ، حتَّى مرَّتْ سَفينةٌ،

فرَكِبا فيها؛ وبعدَ قليلٍ، فُوجِئَ مُوسَى بالعبدِ الصّالحِ يَخلَعُ لَوحًا مِن أَلواحِ السَّفينةِ، فتَعجَّبَ مُوسَى، ولَمْ يَتمالَكْ نفسَه، وقالَ مُعترِضًا: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١]؟! فرد عليه بهدوء: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؟ فتذَكَّرَ مُوسَى وَعْدَه لِلخَضِرِ بأَلّا يَعترِضَ علَيهِ، فقالَ مُعتذِرًا: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

ثُمَّ نزَلا مِنَ السَّفينةِ، وبَينَما هُما يَمشِيانِ، حدثَ أَمرٌ أَعجبُ مِن ذلكَ بكَثيرٍ، فقَدْ رأَى العَبدُ الصّالحُ غُلامًا يَلعَبُ معَ أَصحابِه، فأخذَه بَعيدًا ثُمَّ قتلَه، فاشتَدَّ غضبُ مُوسَى مِمّا رأَى، وقالَ لَه: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾؟! فقالَ الخَضِرُ في هُدُوءِ الواثقِ مِن صِحّةِ ما يَعمَلُ: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؟ فأَدركَ مُوسَى أَنَّه خالفَ الشَّرطَ مرّةً أُخرَى بِدُونِ عُذرٍ، فقالَ لَه: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾، فقَبِلَ العَبدُ الصّالحُ اعتذارَه، وانطلَقا حتَّى وصَلا إِلَى قَريةٍ مِنَ القُرَى، فطلَبا مِن أَهلِها بَعضَ الطَّعامِ والشَّرابِ، فرَفضُوا أَنْ يُعطوهُما شَيئًا.

وأَثناءَ سَيرِهِما في طُرُقاتِ القَريةِ، وَجَدا جِدارًا يُوشِكُ علَى الِانهيارِ، فأَسرعَ إِلَيهِ العَبدُ الصّالحُ وأَعادَ بِناءَه، فتَعجَّبَ مُوسَى مِن فِعلِه ومِن إِصلاحِ الجِدارِ لِقومٍ بُخلاءَ رَفضُوا أَنْ يُطعِمُوهُما، ولَمْ يَأخُذْ مِنهُم أَجرًا، فقالَ لِلعبدِ الصّالحِ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾! وعِندَئذٍ قالَ العبدُ الصّالحُ لِمُوسَى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

وقبلَ أَنْ يَفترِقا أوضحَ العَبدُ الصّالحُ لِمُوسَى سِرَّ الأحداثِ الّتي رَآها، وتَعجَّبَ مِنها، فقالَ لَه: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، فعَلِمَ مُوسَى أنَّ العبدَ الصّالحَ لَمْ يَخرِقِ السَّفينةَ ليُفسِدَها أَوْ لِيُغرِقَ أَهلَها، بَلْ لِعلمِه بأَمرِ ذَلكَ المَلِكِ الظّالِمِ الّذي يَأخُذُ كلَّ سَفينةٍ جَديدةٍ صالحةٍ مِن أَصحابِها رَغمًا عَنهُم، فأَرادَ العَبدُ الصّالحُ أَنْ يَعيبَها بِهذا الخَرْقِ حتَّى يَترُكَها المَلِكُ لِأصحابِها، وما أَيْسرَ أَنْ يُصلِحَ أُولئِكَ المَساكينُ السَّفينةَ ويَنتفِعُوا بِها بعدَ ذلكَ.

ثُمَّ قالَ الخَضِرُ: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾، لقَدْ كانَ الغُلامُ كافِرًا، وكانَ

أَبواهُ مُؤمنَينِ، وكانا يُحبّانِه حُبًّا شَديدًا، فخافَ العبدُ الصّالحُ إِنْ عاشَ ذلكَ الِابنُ أَنْ يُوقِعَ أَبَوَيهِ في الكُفرِ والشِّركِ، بسببِ حُبِّهما لَه، فأَرادَ اللهُ أَنْ يُعوِّضَهُما بوَلدٍ آخرَ أكثرَ مِنهُ رَحمةً وبِرًّا: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

وقالَ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وهَكذا يتَّضِحُ لَنا مِن هَذِه القصّةِ أَنَّ فوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيمًا، وأَنَّ العِلمَ عَطاءٌ ونِعمةٌ مِن عِندِ اللهِ يُعطِيها لِمَنْ يَشاءُ مِن عِبادِه، وأَنَّ طلبَ العِلمِ فرضٌ مِنَ اللهِ علَى عِبادِه، فلا يَحسُنُ بهِم تَركُه. وها هوَ ذا نَبيُّ اللهِ مُوسَى عليه السلام رَغمَ عِلمِه الواسعِ، يُسافرُ ويَتعبُ مِن أجلِ أَنْ يَتعلَّمَ شَيئًا جَديدًا.

والمُسلمُ يُؤمِنُ بأنَّ اللهَ لا يَقضِي إلّا بِالحَقِّ، وأَنَّ لِكُلِّ قَضاءٍ حِكمةً، وخَلْفَ كُلِّ قَضاءٍ سِرًّا قَدْ يُدرِكُه المَرءُ، وقَدْ لا يُدرِكُه.

قِصّةُ قارُونَ

كانَ قارُونُ رجلًا مِن بَني إسرائيلَ، مِن قَومِ مُوسَى، أَنعمَ اللهُ علَيهِ بخَيراتٍ كَثيرةٍ، وأَموالٍ وَفيرةٍ، وكُنوزٍ لا يَقدِرُ جَمعٌ مِنَ الرِّجالِ الأَشِدّاءِ علَى حملِ مَفاتيحِ خَزائِنِها، قالَ تَعالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. ولَكِنّه لَمْ يَحمَدِ اللهَ علَى هَذا الثَّراءِ، بَلْ تَمادَى في مَعصيةِ اللهِ والخُروجِ علَى طاعَتِه.

فلَمّا وجدَهُ قَومُه علَى تِلكَ الحالِ، نَصحوُهُ بأَلّا يَتعالَى ويَتكبَّرَ بِمالِه علَى خَلْقِ اللهِ، ولا يَنشغِلَ عَنِ الفُقراءِ ولا يَنسَى المُحتاجِينَ، بَلْ يُحسِنُ إلَيهِم كَما أَحسَنَ اللهُ إلَيه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. فسَخِرَ قارُونُ مِنهُم، واغْتَرَّ بقُوّتِه، ونسَبَ الفَضلَ كُلَّه إلَى نفسِه، وزَعمَ أنَّه حصلَ علَى ذلكَ المالِ بعِلمِه وجُهدِه فقالَ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

ونسيَ قارونُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهلكَ مِنَ الأُممِ قبلَه مَن هُمْ

أكثرُ مِنهُ مالًا وأَوسعُ عِلمًا، ولَمْ يَستمِعْ قارُونُ لِنُصحٍ ولا إرشادٍ. وذاتَ يَومٍ خرجَ علَى قومِه في كاملِ زِينَتِه، حَولَه مَوكِبٌ هائلٌ مِنَ الخدَمِ.

فلَمّا رآهُ أصحابُ القلوبِ الضَّعيفةِ، الَّذينَ لا يُدركُونَ حِكمةَ اللهِ ﷻ وغرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا بنَعيمِها الزّائلِ، قالُوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾!

أمّا الَّذينَ أَنعمَ اللهُ علَيهِم بِالعلمِ والإيمانِ والرَّأيِ الحَسنِ فقالُوا لَهم: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

ولَمّا لَمْ يَنتفِعْ قارُونُ بِالنُّصحِ، بَلْ كادَ أَنْ يَفتِنَ بعضَ الضُّعفاءِ في دِينِهِم، عاقبَه اللهُ أشدَّ العِقابِ؛ فخَسفَ الأرضَ بِه وبقُصورِه وأَموالِه، قالَ تَعالَى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾.

ولَمّا عَرفَ النّاسُ ما حدَثَ لِقارُونَ أَدركُوا أَنَّ اللهَ أَعطاهُ المالَ لِيَختبرَه؛ أَيشكُرُ أَمْ يَكونُ مِنَ الكافرينَ؟ قالَ تَعالَى:

﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

وهَكذا جعلَ اللهُ قارُونَ عِبرةً لِكلِّ مَن يُسيءُ استِخدامَ نِعَمِ اللهِ، فيَتكبَّرُ ويُفسِدُ في الأرضِ ظَنًّا مِنهُ أَنَّ مالَه وجاهَه وسُلطانَه سيَحمُونَه مِن عَذابِ اللهِ.

قصّةُ شُعيبٍ

كانَ أَهلُ مَدْيَنَ يَقطعُونَ الطَّريقَ، ويُخيفُونَ النّاسَ، ولا يُعطونَهُم حقُوقَهُم، ويَغُشُّونَ في الكيلِ والمِيزانِ، ويَعبدُونَ شجرةً مِن دُونِ اللهِ سُبحانَه.

فبعثَ اللهُ إلَيهِم شُعيبًا عليه السلام، فدَعاهُم إلَى عبادةِ اللهِ وحدَه، وأمرَهُم بالعدلِ والإحسانِ، ونهاهُم عَن ظُلمِ النّاسِ وإنقاصِ الكَيلِ والمِيزانِ، فرفضُوا وقالُوا مُستهزِئينَ: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وبيَّنَ لَهُم شُعيبٌ أنَّه رسولٌ مِن عندِ اللهِ، لا يُريدُ لَهُم

سوَى الإصلاحِ، وحذَّرَهُم مِنَ الاستمرارِ في الضَّلالِ حتَّى لا يَحُلَّ بهِمُ العذابُ كَما أصابَ قومَ نوحٍ وهُودٍ وصالحٍ ولُوطٍ مِن قبلِهِم. وأمرَهُم أَنْ يَتوبُوا إلَى ربِّهِم، فقالَ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ لكنَّهُم عاندُوه، وهدَّدُوه بأَنْ يُخرجُوه ومَن معَه مِنَ المُؤمنينَ مِن قريتِهِم، وطلبُوا العذابَ واسْتعجلُوهُ.

فأنزلَ اللهُ علَيهِمُ العذابَ، وزُلزِلَتِ الأرضُ مِن تَحتِهِم زِلزالًا شَديدًا، وأرسلَ اللهُ علَيهِم صيحةً شديدةً أهلكَتْهُم، وسَحابةً فيها نارٌ وحرٌّ شديدٌ أحرقَتْهُم.

قصّةُ أيُّوبَ

أَنعمَ اللهُ سُبحانَه علَى أيُّوبَ بالذُّرّيةِ الصّالحةِ والأَولادِ الكثيرينَ وبالمالِ الوَفيرِ، فشكرَ اللهَ تَعالَى ولَمْ يَبخَلْ بمالِه علَى الفُقراءِ والمُحتاجينَ.

واختارَ اللهُ سُبحانَه أيُّوبَ لِيكونَ مِن أَنبيائِه، فأنزلَ علَيهِ الوحيَ، فازدادَ أيُّوبُ عِبادةً للهِ وإحسانًا إلَى الفُقراءِ.

وشاءَ اللهُ سُبحانَه أَنْ يَختَبِرَ أيُّوبَ ويَمتحِنَه ويَبتلِيَه في

كلِّ ذلكَ، ففقدَ جميعَ أَموالِه، وماتَ كلُّ أولادِه، وأصبحَ فقيرًا لا مالَ لَه ولا ولدَ؛ ثُمَّ أُصيبَ بمَرضٍ في جسدِهِ، فأصبحَ ضَعيفًا، وانفضَّ النّاسُ مِن حولِه، ولَمْ يَبْقَ إِلَى جانبِه سوَى زوجتِه الوفيّةِ المُخلِصةِ.

وظلَّ أيُّوبُ مُبتلًى ومُصابًا في مالِه وأَولادِه وصِحَّتِه مُدّةً طويلةً، لكنّهُ لَمْ يَيْأَسْ مِن رَحمةِ اللهِ، وتَحمَّلَ كلَّ ما أصابَه بِصبرٍ جَميلٍ ورضًى تامٍّ بقضاءِ اللهِ سُبحانَه، وتوجَّهَ إِلَى اللهِ يَدعُوه، ويُناديه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وبعدَ صبرٍ طويلٍ، أمرَه اللهُ أَنْ يَضربَ الأرضَ برجلَيهِ، ففعلَ، فتفجَّرَتْ عينُ ماءٍ صافيةٌ باردةٌ، فاغتسلَ مِنها أيُّوبُ، وشربَ مِن مائِها، فشَفاهُ اللهُ، وأصبحَ صَحيحًا مُعافًى، ثُمَّ ردَّ اللهُ علَيهِ أموالَه، ورزقَه أَولادًا آخَرينَ صالحينَ. قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

وهَكَذا كانَ أيُّوبُ عليه السلام مثالًا في الصَّبرِ والرِّضا وطاعةِ اللهِ سُبحانَه في الفقرِ والغِنَى، وفي المرَضِ والصِّحّةِ.

** ** **